المرأة في المجتمع الجزائري بين آليات العنف الرمزي و مآلات العنف الجسدي

Women in Algerian society between the mechanisms of symbolic violence and the Results of physical violence

د. أمينة أقنيني [1]
[1] مخبر التمكين الإجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية
جامعة الأغواط (الجزائر)، aguenini0903@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/14 تاريخ القبول: 2019/06/27 تاريخ النشر: 2020/02/27

ملخص:
شهدت وضعية المرأة في المجتمع الجزائري تطورا كبيرا على جميع الأصعدة و مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والثقافية نتيجة لعدة عوامل أهمّها ارتفاع نسبة التعليم المرأة، وظهور حركات نسوية حقوقية بالإضافة مختلف التغيرات العالمية في هذا المجال وانفتاح المجتمع الجزائري على هذه التغيرات.
وبرغم كل هذا التطوّر الذي عرفته المرأة إلا أنّ هناك واقعا حياتيا لا يزال يراوح مكانه، حتى بعدما تحررت واقتحمت الفضاء الخارجي، إلا أن النظرة التقليدية لمكانة المرأة و دورها في المجتمع تكاد لم تتغير لدى البعض خاصة من طرف الرجل، فذلك التحرر المادي لم يحررها من بعض الأفكار و الذهنيات المرتبطة بوجودها داخل هذا المجتمع و الداعي بضرورة اخضاعها دائما والسيطرة عليها وحتى بضرورة ممارسة العنف عليها أحيانا.
كلمات مفتاحية: العنف ضد المرأة، العنف الرمزي، العنف الجسدي.

Abstract:
The situation of women in Algerian society has undergone a significant development at all levels and in various economic, social, legal and cultural fields, as a result of a number of factors, notably the high percentage of women's education, the emergence of feminist human rights movements, as well as the various global changes in this field and the openness Algerian society on these changes.
Despite all the development that women have known, there is still a reality of life, even after they have been liberated and entered outer space, but the traditional

المؤلف المرسل: أمينة أقنيني، الإيميل: aguenini0903@gmail.com

view of the position of women and their role in society has hardly changed for some, especially from the side of the man, so that physical emancipation has not freed them from some ideas and the mentality associated with its presence within this community and the need to always be subjected and controlled and even the necessity of violence on it at times.
Keywords: Violence against women, symbolic violence, physical violence.

مقدمة:

رغم التطورات الكبيرة التي عرفتها وضعية المرأة في المجتمع العربي إلا أن إشكالية العنف لا زالت تلاحقها رغم كل المجالات التي اقتحمتها و رغم كل ما وصلت إليه اليوم بعلمها وعملها، فقد عانت منذ أقدم العصورمن عنف الرجل والمجتمع لها ولازالت تعاني منه إلى غاية يومنا هذا و إن اختلفت أنماطه.

إن قضية العنف ضد المرأة حديثة الطرح بحيث لم تكن تعتبر مشكلا في حدّ ذاته، حيث كان هناك شبهقبول اجتماعي لممارسة أشكال مختلفة من الاهانة والتمييز في حق المرأة، بل أبعد من ذلك، كان العنف ولا يزال يعتبر من مرتكزات التربية و التنشئة الاجتماعية و من أهم خصائص الثقافة السائدة في المجتمع، لذلك لا يقابل بالرفض حتى من طرف المرأة ذاتها.

1_مفهوم العنف:

أولا_ الدلالة اللغوية:

تتفق معظم القواميس العربية كلسان العرب(ابن منظور،1997، ص257) و المعجم الوسيط (المعجم الوسيط، 1998) و معجم اللغة العربية المعاصر و غيرها، على أن العنف يدل على " الخرق و التعدي و الأخذ بالشدة والقسوة و إيقاع اللوم على شخص. فالعنف ضد الرفق. و التعنيف أيضا هو " التعيير واللوم" يقال عنف الرجل: عامله بشدة وقساوة. واعتنف الأمر: أخذه بعنف، و اعتنف الشيء كرهه. و يقال عنفوان الشيء أي أوله وبدايته" عنفوان الشباب" قوته و حماسته و حدته و اندفاعه" (أحمد اوزي، 2006،ص201).أما كلمة عنف(Violence) في اللغة الفرنسية فهي مشتقة من اللفظة اللاتينية (vis) التي تدل على الاستخدام غير الشرعي للقوة فالعنف استخدام للقوة دون سند شرعي و رفض للقانون و العدالة و الخضوع لأي سلطة حيث يعرفه قاموس " لو روبير" بأنه" القوة المفرطة التي تستخدم لإخضاع الغير،فهي فعل وحشي"(Le Robert 1993,p 226).

من خلال ما سبق نستنتج بأن العنف يعني الشدة و القسوة ، و هو ضد الرفق وهذه الصفات لها ارتباطها الوثيق بالقوة، و كذلك تشير هذه المعاجم إلى أن العنف هو اللوم و التعيير

و هما ما يسمى التعنيف الذي يكون عادة بالكلام و هنا نشير إلى العنف اللفظي (الكلمات العنيفة)وامتدادا إلى بقية الجوارح (العنف المادي).

ثانيا_ الدلالة الاصطلاحية:

يعرف عدلي السمريالعنف بأنه " أي سلوك يصدر عن فرد أو جماعة تجاه فرد آخر أو آخرين ماديا كان او لفظيا، مباشرا او غير مباشر نتيجة الشعور بالغضب أو الإحباط أو للدفاع عن النفس أو الممتلكات أو الرغبة في الانتقام من الآخرين أو للحصول على مكاسب معينة ترتب عليها إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بصورة متعمدة بالطرف الآخر" (عدلي السمري،2002، ص450).

و هنا نجد أن تعريف السمري ينطوي على مجموعة من الخصائص التي إن توفرت في سلوك معين كان السلوك عنيفا و هذه الخصائص هي : تعمد الإيذاء،قد يكون ماديا او معنويا كما انه قد يكون نتيجة لأعمال غضب أو إحباط بالنفس كما قد يكون دفاعا عن النفس ....

ويعرفه عالم الاجتماع" نيبورج Nieburg" على انه:" فعل مباشر أو غير مباشر بهدف تهديد أو جرح الأشخاص أو تحطيم للممتلكات" (BornMichel,، 2005،P 7) ، ويقول: ميشو (Michaud) " يحدث العنف في وضعية تفاعل حيث يقوم الفرد او عدة أفراد بطريقة مباشرة او غير مباشرة فرادى او جماعة على إلحاق الأذى بالشخص او بعدة أشخاص بدرجات متفاوتة سواء بكيانهم الجسدي او المعنوي أو بممتلكاتهم...")Yves, Michaud،1992، P8(

هناك مظاهر عديدة لمفهوم العنف من خلال التعاريف السابقة الذكر أهمها : وجود القوة التي هي أساسية في تشكيل السلوك العنيف كما يظهر العنف من خلال الممارسة (التعامل مع الآخرين)، و غالبا ما يكون لتحقيق هدف معين قد يكون نفسي او مادي وفي معظم الأحيان يكون هدفه إلحاق الأذى بالآخر.

هذا و يجسد العنف من الناحية الاجتماعية سلوك اجتماعيا مكتسبا، و تعمل البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد على تعزيزه من خلال عدة مظاهر، كالتفكك الاجتماعي و انحلال العلاقات الاجتماعية...و غيرها من أشكال تؤدي إلى العدوان، أما بالنسبة للمعنى النفسي فيرجع سبب العنف إلى الإحباط عندما تواجه رغبات الفرد عقبات لا يمكن التخلص منها بأساليب معتادة و مقبولة فيلجأ إلى أساليب عنيفة للتعويض عن الإحساس بالنقص أو الضعف، بينما يرى التحليل الحضاري الثقافي أن العنف ظاهرة ثقافية تختلف من مجتمع إلى آخر و من مرحلة تاريخية إلى أخرى، و ترتبط بالمعايير السائدة في المجتمع الذي يسوّغ العنف أو يرفضه تبعا لبنيته الثقافية (سوزان عبد الله ادريس،2018،ص 13). فالعنف يعد سلوك عدواني غالبا مايكون

قصدي يمارسه الفردا والجماعة تجاه فرد آخر أو مجموعة من الأفراد ويستهدف إلحاق الأذى بالآخر سواء كان هذا الأذى مادي أو نفسي أو لفظي أو حتى رمزي.

2_العنف تجاه المرأة:

هو أي فعل يقع على المرأة وينتج عنه إيذاء جسدي أو جنسي أو نفسي أو أي شكل من أشكال المعاناة مثل التهديد بهذه الأفعال أو الإكراه أو الإجبار أو الحرمان من كافة الحقوق سواء وقعت ضمن إطار العلاقات الأسرية أو الاجتماعية أو المهنية..، كما قد يشتمل أشكال أخرى كالعنف الاجتماعي، العنف الاقتصادي، العنف السياسي..)(هيفاء أبو غزالة،2008، ص 3).فالعنف هو سلوك فظ يقصد به الحاق الضرر و الايذاء والإساءة بالمرأة مما يسبب لها جروح جسدية أو نفسية او جنسية و قد تصل في بعض الحيان حد القتل.

أولا_العنف الرمزي:

يعرف " بيار بورديو" العنف الرمزي بأنه ذلك العنف اللطيف وغير محسوس وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرق والوسائل الرمزية، أي عبر التواصل وتلقين المعرفة (بيار بورديو،1994،)، و في مقام آخر يعرفه بانه " أي نفوذ يفلح في فرض دلالات معينة ، و في فرضها بوصفها دلالات شرعية حاجبا علاقات القوة التي تؤصل قوته (بيار بورديو، ص5) ويرى بأن هذا النوع من العنف يتجسد في البنى الموضوعية التي تمثلها التشريعات والقوانين التي تحفظ سلطة المهيمنين.

ويرى "أسعد وطفة" بأن هذا المفهوم منطلقا ذهنيا للكشف عن الفعاليات الذهنية الأيديولوجية التي مارسها المجتمع طبقيا لتشكيل عقول الأفراد، عبر سلطة معنوية كلية القدرة، وهذا يعني أن العنف الرمزي يرتدي حلة سلطة معنوية خفية تفرض نظاما من الأفكار و الدلالات و المعاني و العلامات بوصفها مشروعة، و في كل الأحوال فإن هذه السلطة تعمل على إخفاء علاقات القوة الكامنة في أصل هذه السلطة أو في تكوينات العنف الرمزي عينه.(علي أسعد وطفة،2011،ص115).

وعليه فالعنف الرمزيكون غالبا من خلال الهيمنة واللغة والإيديولوجيات السائدة والأفكار المتداولة وغيرها، بحيث يفرض الغالب (السلطة السياسية أو الذكورية أو التربوية...) هيمنته وسيطرته على المغلوبين من دون أن يشعروا بذلك العنف الممارس عليهم.

العنف الرمزي تجاه المرأة:

يعتبر هذا النوع من اخطر أنواع العنف فهو غير محسوس ولا أثر واضح له للعيان، فهو شائع في جميع المجتمعات، وله آثار مدمرة على الصحة النفسية للمرأة وتكمن خطورته بأن القانون لا يعترف به كما هو ويصعب إثباته(رجاء مكي،ص 93).

ينتج العنف الرمزي عن فرض الأعراف و السلوكيات الثقافية المرتبطة بالجندر، فالنساء مثلا يتعلمن منذ صغرهن أن " أمرا ما" قد يحدث لهن إذا قررن المشي وحدهن في الليل او اعتماد طريقة لباس معينة أو التصرف باللامبالاة، عندها يصبح الخوف لدى النساء حالة ذهنية طبيعية و مقبولة. بل أن هذا الخوف ينتج عنه خارطة ذهنية بالأماكن الممنوعة (iwpr;2019) و السلوكايات المرفوضة مثل : طريقة الكلام الممنوع ، طريقة لباس ممنوعة ، طريقة ضحك ممنوعة ، الركض ممنوع ...و غيرها خشية ما قد يحدث لها في المجتمع ، وعليه فإن المجتمع يحمل المرأة مسؤولية أي عنف تواجهه أو تتعرض له، كما تجدر الإشارة في هذا المقام بأن العنف الرمزي يندرج بشكل أساسي ضمن ثقافة المجتمع و مؤسساته التنشئية و سنوضح ذلك لاحقا.

3_آليات العنف الرمزي ضد المرأة في المجتمع الجزائري:

أولا_ التنشئة الاجتماعية للمرأة في المجتمع الجزائري التقليدي:

تعد العائلة كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيسي بين شخصية الفرد و الحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها، و أن شخصية الفرد تتكون ضمن العائلة، وأن قيم المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل إلى حدّ كبير من خلال العائلة و تتقوى بواسطتها.

إن طرق تربية الطفل في المجتمعات العربية تمثل دورا حاسما في تعيين الشخصية من حيث ارتباطها بمجتمع معيّن ودلالاتها عليه، ولذا فإن فهم طرق تربية الطفل يؤدي إلى فهم السلوك الاجتماعي ودوافعه في المجتمع (هشام شرابي،1984، ص33_34).

إن الأنثى يجري تمييزها عن الذكر بصورة أساسية منذ ولادتها و الواقع يؤكد ذلك، فولادة الذكر في العائلة الجزائرية يعد مكسبا لها بينما الأنثى عبء عليها،و البنت منذ نعومة أظفارها تدفعها العائلة إلى الشعور بأنها غير ضرورية، و غير مرغوب فيها و تعلمها على قبول وضعها كأنثى، خاصة لدى العائلات الأكثر محافظة.

فمازالت العائلات الجزائرية إلى غاية يومنا هذا تحتفل بميلاد الولد أو الصبي و تقيم على شرف ولادته الاحتفالات (السابع، العقيقة..) حتى لدى العائلات الفقيرة، بينما الأنثى لا يحتفل بقدومها إلاّ نادرا لأن قدوم البنت مقارنة بقدوم الصبي لا يعد مكسبا بل بالعكس هو عبء والغريب أنها من تعبر عن هذا الرفض لازدياد الأنثى هيالمرأة نفسهاوهي في هذا المقام تحقق غايتين

على الأقل، الأولى التعبير عن إرادة الرجال في الاستزادة من المواليد الذكور لتقوية جماعته، والثانية الاحتجاج على وضعيتهن المزرية الدونية، فلا تردن للمولودة أن تكون مثلها و تودن لو لم تجيء إلى عالم ينكر عليها انسانيتها ومكانتها الفعلية في الأسرة والمجتمع (محمد حمداوي،2000، ص 18)، كما ان المرأة التي تنجب الإناث في المجتمع غالبا ما تكون مكانتها في العائلة أقل شأنا و دونية مقارنة بالمرأة التي تنجب الذكور، وكذلك هو الحال عند زوجها.

ويرى هشام شرابي بأن البنت العربية تلقى اهتماما أقل من الذي يلقاه الصبي أثناء مرحلة الطفولة، ومن النادر ان تكون مركز الاهتمام الأول في العائلة إذا كان لها أشقاء، و لكن هذا في نفس الوقت يتيح لها أن تنموا بحرية أكثر و ان تتعلم كيف تواجه مصاعب بنجاح، لأنها لا تخضع للضغط نفسه الذي يخضع له الصبي و لذلك فهي تميل إلى النضوج نضوجا أسرع و تتعلم كيف تواجه مشكلات الحياة بصورة أكثر فعالية من الصبي، و لعل هذا أحد الأسباب الذي يجعلها تنجح في مجابهة نظام اجتماعي يحاول سحقها باستمرار (هشام شرابي،1984، ص 39_40). هذه البنت التي سوف تخضع بالتلقين أحيانا و بالعنف أحيانا أخرى لتنشئة اجتماعية تهيؤها لقبول وضعيتها الدونية، و يصدمها واقع التمييز بينها و بين اخيها الذكر في المجال و الخطاب و لحظات اللهو، والأكل و النوم واللباس ..و في استعمال الجسد ساكنا او متحركا و في علاقتها بالأشياء وأصناف من الرجال و النساء (محمد حمداوي،2000، ص 18_19).

ثانيا_الهيمنة الذكورية:

تعتبر الهيمنة الذكورية في المجتمع الجزائري أهم عامل للسيطرة و إنتاج العنف الرمزي ضد المرأة برغم من كل التطورات الاجتماعية والثقافية خاصةالتي عرفها. ويرى " بورديو" بان الهيمنة الذكورية متجذرة جدا في لاشعورنا إلى درجة أننا لا نتمكن من إدراكها، و متوافقة جدا مع توقعاتنا إلى درجة يصعب علينا إعادة النظر فيها...و يتساءل علىالميكانزيمات و المؤسسات التي تؤدي مهمة إعادة الانتاج " المذكر الأبدي" وكيف يتم تكريس السيطرة الذكورية كشيء يمشي من تلقاء ذاته.

ففي المجتمعات التقليدية كمنطقة القبائل الجزائرية تبدو الهيمنة الذكورية صريحة جدا وواضحة و مباشرة، وبالتالي تسمح مصادرة تعارضات المبدأ الذكوري و الأنثوي .فالذكورة و الرجولة تشكلان مبدأ للتنظيم المادي و الرمزي، حيث كل مظاهر الوجود الاجتماعي و الروحي تخضع لهذا المبدأ(أساطير،أشكال تنشئوية،رموز،علاقات اجتماعية و سياسية)هذه المجتمعات التي تقوم على سمو و علو الجنس المذكر في مقابل دونية و سلبية المؤنث، بينما في المجتمعات الغربية و بفعل جملة من العوامل التاريخية و الفكرية و الاجتماعية، فإن السيطرة الذكورية

تبقى منغرسة هي الأخرى في النسيج الاجتماعي، لكنها تضطر إلى الاختباء و التنكر وراء مقولات رمزية ومؤسسات وأشكال للتنظيم " عقلانية ، بمعنى أهان تصبح أكثر تسترا وأقل بروزا للعيان (عصام عدوني، ص 82_83).

وفي العلاقة الجنسية بين الرجل و المرأة يقع الوزر على المرأة دائما، فهي المذنبة أبدا، مذنبة إن استسلمت للإغراء قبل الزواج في إشارة إلى ان الرجل لا ذنب له و أنه واقع معها في الخطيئة بسببها في كل الأحوال حتى في حالات الاغتصاب، بل ان المجتمع يتقبله و يتقبل توبته بدون شروط بينما المرأة تبقى منبوذة و تطاردها اللعنة حتى بعد مماتها، بينما الله عزّ وجل ساوى بينهما في العقاب و الثواب و باب التوبة مفتوح لكلاهما دائما، لكن على ما يبدو أن للمجتمع دائما رأي آخر، كما يقع عليها الوزر في الانجاب أو عدمه ، فهي مذنبة إن لم تنجب و مذنبة إن لم تنجب غير الإناث...ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن المرأة هي المساهم الفعال في هذه الوضعية التي هي فيها وهي التي تساعد الرجل على فرض سيطرته و هيمنته عليها وعلى غيرها. و يرى " عدي الهواري" بأن المرأة داخل الأسرة الأبوية التقليدية كلما تقدم بها السن أمًا او حماة كلما ازدادت مكانة و سلطة و كلما استفادت من امتيازات النظام الذكوري ماديا و معنويا، لذلك فإنها تصبح الحارسة لقيمه المدافعة عن احترامها،فهي التي تدعو بناتها إلى التخلي عن ميراثهم لإخوتهم الذكور إذا وجد ، و هي التي تعترض على أن يستقل ابنها بأسرته النووية ... وغيرها. يحدث الأمر كما لو أن المرأة لا تكتسب مكانة أو سلطة داخل الأسرة إلا إذا استنبطت الثقافة الأبوية فأصبحت هذه الأخيرة الموجه الأساسي لسلوكها لا فرق في ذلك بينها في عالم النساء ، و بين زوجها أو ابنها في عالم الرجال (محمد حمداوي، 2000، ص 16_17).149149

ثالثا_ وضعية القهر:

يقول "مصطفى حجازي" بأن المرأة في المجتمعات العربية هي أفصح الأمثلة على وضعية القهر فيها، حيث تجتمع في وضعيتها كل تناقضات المجتمع، و تتجمع في شخصيتها او بالحرى في النظرة إليها أقصى حالات التجاذب الوجداني، فهي أكثر العناصر الاجتماعية تعرضا للتبخيس في قيمتها على جميع الأصعدة: الجنس، الجسد ، الفكر، الإنتاج ، المكانة، يقابل هذا التبخيس مثلنة (مثالية) مفرطة نادرا أن تجد لها نظير عند الرجل، هذه المثلنة تبدو في إعلاء شأن الأمومة في إغداق الصفات الإيجابية عليها (الطيبة، المحبة، ينبوع الحان، رمز التضحية..الخ). و هذا تتفاوت مكانة المرأة في نظر الرجل ونظر المجتمع عموما بين أقصى الارتفاع (الكائن الثمين مركز الشرف الذاتي ، رمز الصفاء البشري الذي يبدو في المومة) و بين أقص حالات التبخيس ، المرأة العورة، المرأة رمز العيب و الضعف، المرأة القاصر، الجاهلة، المرأة الأداة الي يمتلكها الرجل مستخدما

إياها لمنافعه المتعددة (مصطفى حجازي،2014، ص 199)، كذلك المرأة اللعوب (كيدكن عظيم) رغم أن الله عز وجل في كتابه العزيز ذكر في سورة " يوسف" كيد الرجال قبل كيد النساء "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًاۖإِنَّالشَّيْطَانَلِلْإِنسَانِعَدُوٌّمُّبِينٌ (5) و في آية أخرى" فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍقَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّۖإِنَّكَيْدَكُنَّعَظِيمٌ (28) وهذا يعني بأن مفهوم " الكيد لم يقتصر على المرأة فقط كما هو شائع في الثقافة العربية ، كما أن المرأة هي التي أخرجت آدم من الجنة رغم ان أيضا الآية واضحة تمام الوضوح في سورة "طه" "فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِۚوَعَصَىٰآدَمُرَبَّهُفَغَوَىٰ(121) .

والمرأة التابع و هي التي لا تكون مستقلة بذاتها و إن وصلت إلى أعلى المراتب من العلم و التعليم لأنها تابع، فالمرأة في مجتمعنا تكون بغيرها (الرجل) لا بذاتها، فهي ملكية الأسرة منذ الولادة وحتى تموت فهي ملك للأب في طفولتها وصباها، ثم الأخ إن غاب الأب أو مرض و تعب، و بعد ذلك ملك للزوج، فالمجتمع الجزائري يرى المرأة ناقصة حتى وإن كانت متعلمة ووصلت إلى مهن قيادية و مستوى تعليمي مرتفع لأنها بدون مالك (الرجل)، وحتى المرأة نفسها ترى ذلك لأن تنشئتها وثقافة المجتمع رسخت ذلك في ذهنيتها بأنها دائما ضعيفة و تحتاج إلى مالك (الرجل) للتقوى به، و أنها بدون الرجل فإنها لم تحقق شيئا يذكر.

4_صورة المرأة الدونية في بعض الأمثال الشعبية:

لا أحد ينكر بأن الثقافة الشفوية في المجتمع الجزائري و خاصة المثال الشعبية و الأقوال والمأثورات الشعبية و حتى الحكايات مليئة بايجابية و مشروعية العنف وممارسته على المرأة سواء كان ذلك بصورة مادية او معنوية و رمزية، خاصة المثال الشعبية التي عملت و لا زالت تعمل على تكريس و ترسيخ دونية المرأة، و غن كانت تختلف من منطقة لأخرى إلا أن معظمها يتفق على إهانة المرأة و تبخيس قيمتها.

"مبروك عليك النسيب"من أكثر الأمثال الشعبية تداولا في الوسط الجزائريمنذ سنين، و هي عبارة شهيرة تقال للرجل الذي رزق بأنثى، و كأنها نوع من التعزية لهذا الرجل و مواساته بأنه سيحصل على رجل من وراء هذه الأنثى، مجتمع عنيف لدرجة انه يصعب عليه مباركة الأنثى لوالديها فيباركون له على " ابن الناس" ولا يباركون له على ابنته و هنا يختصر دور الفتاة أو المرأة طبعا بالرجل فهي بكل واقعية " كائن بغيرها لا بنفسها".

"اضرب مرتك ديما إذا أنت ما تعرفشعلاش هي تعرف علاش"يشير هذا المثل إلى استعمال العنف الجسدي و المادي الصريح ضد الزوجة حتى وإن كان من دون سبب، من باب القهر و

الظلم و فرض السيطرة الدائمة عليها وبمعنى " هي تعرف علاش" لأن المرأة في المجتمع الجزائري وخاصة التقليدي كانت تؤمن و لازالت بأن العنف من طرف الزوج ضروري و مهم بل و يعبر عن الرجولة" الراجل الي ما يضربش ماشي راجل" معتقدات بالية و أفكار خاطئة و رائجة في المجتمع الذكوري، إذن هي ثقافة مؤسسة راسخة لدى الرجل و المرأة على حدّ سواء بأهمية العنف كوسيلة للتربية و التأديب " يضربك باه يربيك"(الطفل)، و الأغرب من ذلك أنه في بعض الأحيان يعتبر وسيلة للتعبير عن الحب.

"الي يحب العثاب (العذاب) يكثر من النسا ولا الكلاب" و هنا في إشارة واضحة إلى دونية المرأة و مساواتها بالحيوان، و إنكار إنسانيتها و تبخيس قيمتها ، و لنا ان نتصور لمجتمع يساوي المرأة بالحيوان كيف له أن يتطور و الأسوأ من هذا أن من ينقل هذه الأمثال البالية هن النسوة أنفسهن.

"شاور المرا و خالف رايها" أيضا من الأمثال الشهيرة و المعمول بها أيضا في بعض المناطق الجزائرية التي تزال فيها المرأة حبيسة أفكار و ذهنيات متخلفة ،في إشارة إلى الاستخفاف بعقل المرأة، وهو يعبر عن نصيحة يقدمها المجتمع للرجل بعدم الأخذ بمشورة المرأة. ولازالت القائمة طويلة بالكثير من المثال التي نراها تكريس للعنف الرمزي ضد المرأة في المقابل العديدة من الأمثال التي تمجد دور الرجل أهمها على الإطلاق أن " الراجل عيبو جيبوا" و هنا المجتمع يخلي ساحة الرجل من أي عيب يذكر سواء اجتماعي أو أخلاقي أو ثقافي أو حتى جسدي ، فقط " جيبوا" يعني المال و هو العيب الوحيد الذي يلاحق الرجل في المجتمع الجزائري، لذلك نرى بأنه مجتمع متناقض حين يلوم المرأة التي ترفض الزواج برجل فقير لأن هذا المجتمع نفسه هو من رسخ فكرة أن الرجل بماله ، رغم أن للدّين رأي مناقض تماما، و يتجلى ذلك في قوله صل الله عليه وسلم" إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ" (رواه الترميذي)، يعني الدّين و الخلق و لم يقل المال.

5_ العنف الجسدي ضد المرأة أرقام وإحصائيات:

تشير الأرقام الرسمية إلى ان 7 آلاف حالة عنف سجلت ضد المرأة خلال الـ 9 أشهر الأولى من سنة 2018، وأكدت محافظ الشرطة رئيسة المكتب الوطني لحماية الأشخاص السيدة خواص ياسمين "أن العنف الموجه ضد المرأة بلغ خلال الأشهر التسعة الأولى من السنة الجارية أزيد من 7000 حالة مقارنة بالسنة الماضية 7562حالة وهذا انخفاض محسوس جدا"، بينما في سنة 2016 سجلت 8461 حالة و في 2015 سجلت حوالي 8151 حالة عنف ضد النساء.(http://www.radioalgerie.dz)

وبرغم هذه الأرقام فإن رئيس الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الانسان يرى بأن هذه الرقام التي سجلتها مصالح المن لسنة 2018 لا تعكس الصورة الحقيقية للنساء المعنفات ذلك لأن العديد من اللواتي يتعرضن إلى العنف لا يبلغن عنه ولا يلجأن إلى العدالة نظرا للعوامل الاجتماعية و الثقافية من جهة و كذا لكون أغلب المسؤولين عن هذه الحالات هم من أفراد العائلة و الأقارب من جهة اخرى.

وترى رئيسة مكتب "حماية الأشخاص الهشة" بالمديرية العامة للأمن الوطني، ياسمين خواص، خلال تقديمها لدراسة ميدانية حول العنف ضد المرأة، مؤخرا أنحالات العنف مست بدرجة كبيرة النساء الماكثات في البيوت غير العاملات، واحتل فيها العنف الجسدي المرتبة الأولى. و أرجعت المتحدثة تفشي العنف في المجتمع الجزائري إلى عدةأسباب، تأتي في مقدمتها لغة التخاطب التي غلب عليها طابع العنف، في ظل ضعف التواصل الذي فسح المجال لبعض الممارسات العنفية كي تتطور، إلى جانب المرأة في حد ذاتها، التي لعبت دورا بارزا في ترسيخ العنف الممارس عليها بالتزام الصمت واعتمادها في تربية أبنائها على نفس الطريقة التي تربت بها، والتي تمجد فوقية الذكر وتكرس دونية الأنثى.

ومن جملة الأسباب التي ترى محافظة الشرطة أنها لعبت دورا كبيرا في تغذية العنف؛ جملة العادات والتقاليد التي بنت للمرأة تصورا مفاده أن الرجل هو الشخص الوحيد الذي يحميها، وإن هربت منه فلن تجد مأوى يحميها. و في ذات السياق، ومن خلال الدراسة المنجزة، أبرزت المحافظة أن الشريحة العمرية التي تعتدي على المرأة هي شريحة شابة، حيث تتراوح أعمارهم بين 26 و35 سنة، وتعود أسبابها بالدرجة الأولى إلى عدم الاستقرار بسبب البطالة أو عدم الزواج وضعف العائد الاقتصادي.

وتبقى هذه الأرقام بعيدة حسبها عن الواقع الذي تعيشه المرأة في الجزائر اليوم كونها حالات كثيرة لم يتم التبليغ عنها وهذا ما أكدته وزارة التضامن بأنها لا تحوز على أرقام حقيقية بخصوص عدد النساء اللاتي يتعرضن للعنف في الجزائر، ذلك أن المرأة الجزائرية لا تزال لحدّ الساعة تتكتم على ما تتعرض له من أشكال عنف مختلفة خاصة من طرف الزوج.

وفي دراسة للباحثة " قنيفة نورة"حول المرأة و العنف في المجتمع الجزائري (دراسة على النساء المعنفات بالمستشفى الجامعي قسنطينة) توصلت الباحثة من خلالها إلى نتائج مهمة حول ممارسة العنف ضد المرأة نوردها باختصار فيمايلي: (قنيفة نورة،2010 ، ص 350_352)

- قدم الاعتقاد الاجتماعي التقليدي و المتمثل في مشروعية الممارسات العنفية ضد المرأة الجزائرية الدعم الكافي للسلوكات العنيفة مما زاد من معدل صدورها و انتشارها و من

ثم استمراريتها، وهنا يمكن القول بان العامل ثقافي بالدرجة الأولى ، و هو الثقافة السائدة التي تجيز للرجل ممارسة العنف ضد المرأة.

- تختلف الأطراف الممارسة للعنف على أجساد النساء باختلاف علاقاتها الأسرية و الاجتماعية بالمرأة، و يبرز الزوج بشكل خاص ومميّز كأكثر الأطراف ممارسة للعنف ضد المرأة.
- تنوعت أشكال العنف الممارس على المرأة الجزائرية المعنّفة بين العنف الجسدي، النفسي، الجنسي، اللفظي والاقتصادي.

و عن أسباب العنف ضد المرأة عديدة ومختلفة من أسباب اجتماعية و ثقافية عامة بالدرجة الأولى بالنسبة للعازبات إلى أسباب خاصة لدى المتزوجات ، تقول الباحثة في هذا الصدد بأن هناك أسباب خفية ويصعب على المعنفات التحدث بها خاصة إذا كنّ بصحبة أحدهم و تقول بأن السبب الأول في معظم الحيان هو العامل الجنسي (مشاكل جنسية بين الزوجين).

بينما تشير أيضا العديد من البحوثبأن أهم أسباب العنف ضد المرأة العاملة هو العامل الاقتصادي (الراتب) والمقصود هنا براتب الزوجة الذي يكون محل نزاع بينها و بين زوجها و ينتهي بممارسة العنف عليها إلى جانب مشاكل عائلية مع اهل الزوج ، طبيعة عمل المرأة و غيرها.

و برغم من أن للعنف مهما كان نوعه تبعات نفسية وجسدية سلبية على ذات المرأة، إلا أن هذه الأخيرة لا تزال تلوم نفسها في كثير من الأحيان و تعاني عقدة الذنب و تتستر على عدوان الزوج و الأخ و حتى الإبن..وكما سبق وان أشرنا فإن المجتمع يلوم المرأة على كل ما يقع عليها ويحملها المسؤولية عن كل أذى تتعرض له من طرف الرجل ،لا لشيء سوى لأنها لم تكن خنوعة و خاضعة بالقدر المطلوب.إن المرأة المعنفة تعيش رهينة وضعيتها المزرية ، فتشعر بالعجز وعدم القيمة و انعدام الهدف والمعنى في حياتها ما يؤدي إلى تدهور مفهومها لذاتها.

خاتمة:

إن المجتمعات الذكورية والمجتمع الجزائري واحد من اهمّها لا يمكن ان يضمن استمراره وبقاءه إلا من خلال إعادة انتاج ذاته وهذا لا يكون إلا من خلال إخضاع المرأة بشتى الطرق، والتي تقوم دائما على سمو الجنس الذكري مقابل دونية وسلبية الجنس الأنثوي، ولكن لا يتم هذا الإخضاع إلا بمساهمة المرأة نفسها، لأن الهيمنة الذكورية ما كانت لتكون بهذه الحدّة لو ما ساهمت المرأة في وجودها أصلا (الضحية والجلاد)، كما أنه لا يمكن فهم العنف ضد المرأة خاصة الرمزي منه إلا بوصفه آلية سلطوية لإعادة إنتاج علاقات السيطرة والهيمنة بين الجنسين.

قائمة المراجع:

1. 1_ابن منظور . (1997). لسان العرب.بيروت: دارصادر.مجلد 9. ط6.
2. 2_ المعجم الوسيط.(1998). ط3. القاهرة: مجمع اللغة العربية.
3. 3_أحمد، اوزي. (2006). المعجم الموسوعي لعلوم التربية.مجلة علوم التربية . العدد 14
4. 4_عدلي، السمري.(29_30 ابريل 2000). سلوك العنف بين الشباب.ورقة مقدمة إلى أعمال الندوة السنوية السابعة بقسم علم الاجتماع جامعة القاهرة حول الشبابومستقبل مصر. جامعة القاهرة
5. 5_ سوزان عبد الله ادريس.(2018).لا أخلاقية العنف عند جون بوديار. بيروت: منشورات ضفاف. ط1
6. 6_ بيار بورديو.(1994). العنف الرمزي.الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.ط1
7. 7_هيفاء أبو غزالة.(2008).المجلس الوطني لشؤون الأسرة. العنف ضد المرأةرؤيا مشتركةلإحداث التغيير.نشرة دورية(السياسات). العدد 2
8. 8_ علي أسعد وطفة. (2011).العنف الرمزي.مجلة المعرفة. وزارة الثقافة السورية: سوريا. العدد576.
9. 9_ رجاء مكي و سامي عجم.اشكالية العنف " العنف المشروع و العنف المدان.بيروت:مجد المؤسسة الجامعية للدراسة و النشر.
10. 10_ هشام شرابي. (1984).مقدمات لدراسة المجتمع العربي.بيروت:الدار المتحدة للنشر.ط3
11. 11_محمد حمداوي.(أفريل 2000).وضعية المرأة و العنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي.مجلة إنسانيات. وهران: منشورات مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية. العدد 10.
12. 12_ مصطفى حجازي.(2014).التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسانالمقهور. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ط 13
13. 13_ عصام عدوني.(2014).العنف و التمييز ضد المرأة في المغرب: مقاربة سوسيولوجية. المستقبل العربي. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية
14. 14_ قنيفة نورة.(2010).المرأة و العف في المجتمع الجزائري.أطروحة دكتوراه. جامعة قسنطينة.
15. 15_ Le Robert. (1993).Dictionnaire historique de la langue française. Dictionnaire Le Robert _Paris,
16. 16_Michel,Born .(2005). Psychologie de la délinquance. Bruxelles :éditтion le Boeck &Larcier.
17. 17_ Yves, Michaud. (1992). La violence Que sais-je ? 3eme éd. France: PUF
18. 18_ http://www.radioalgerie.dz(2018)
19. 19_iwpr.net (2019)